

لِفَصْدِ الْقَوْلِ أَحَدٌ مِنَ الْحَسَامِ، وَاسْتَكْشَفَهُ الْحُكَمَاءُ الرَّاسِخُونَ قِصَّةَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنْ مَضَى مُوْنَهَا
 اسْتَمَرَّ رَأْيُهُ التَّمَدُّنَ عَنِ تَعَاقِبِ الْقُرُونِ الْكَثِيَّةِ فِي أَيَّامِ الْمُلُوكِ الْأَوَائِلِ، وَمِمَّا يُعْضَدُ مَا الرُّسُومُ الْمَوْكِيَّةُ الْعَتَقَةُ، وَكُلُّ مَنْ ظَهَرَ أَنَّهُ تَعَيَّشَ مِنْ وَجْهِ
 حَرَامٍ فَجَزَاؤُهَا الْقَتْلُ، فَيُسْأَلُ كُلُّ إِنْسَانٍ عَنْ مَوَادِّ تَعَيُّشِهِ، وَمِنْ وَقَطْعِ رُقَا الْبَطَالَةِ وَالْغَشِّ وَالتَّدْلِيْسِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ يَجِبُ فِي آخِرِ
 بِلْ وَفَاءِ الدِّينِ مَحَلُّهُ أَمْوَالُ الدِّينِ لِاشْتِغَالِهِ، وَكَانَتْ قَوَانِينُهُمْ تَمِيلُ إِلَى الْحَثِّ عَلَى الْعَمَلِ مِنَ الْقَاتِلِ بِدُونِ حَقٍّ وَلَمْ يُخَلِّصْهُ فَجَزَاؤُهَا الْقَتْلُ، وَأَنَّ مَنْ
 قَدَرَ عَلَى تَخْلِيصِ الْقَتُولِ وَكَانَ فِي أَحْكَامِهَا يُعْطَى عِقَابًا لَزِيْزًا شَدِيدًا جَدُّ الْكُفْرِ مِنَ الْكِبَائِرِ أَلَا لَلْأَمَةِ، وَأَذِنَ لِلْمُحِقِّ أَنْ يَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا؛ فَإِذَا ظَهَرَ
 الْحَقُّ وَالْقَضَايَا وَالْآرَاءُ تُكْتَبُ بِالْقَلَمِ وَالنَّاقِشَاتُ وَالْحَاوِرَاتُ وَالرَّافِعَاتُ كَذَلِكَ؛ وَكَانَتْ كِتَابَتُهُمْ بِالْقَلَمِ أَنَّهُمْ كَانُوا يُؤَلِّهُونَ كُلُّ مَنْ اخْتَارَ
 أَمْرًا غَرِيبًا مِنْ قَانُونِ أَوْ قَوْمٍ، فَكَانُوا لَا ذَاكَ لِابْقُوَّةِ عَسَاكِرِهِمْ وَبَطْنِهِمْ وَرَبِطِهِمْ، وَفَتَحَ الْعِرَاقُ وَالْعَجَمُ بِدَلِيلِ أَنْالِ الْمَلِكِ سِيزُوسَايسَ جَيْشَ
 عَظِيمًا لِقَصْدِ سُلْبِ بِلَادِ الْعِرَاقِ وَالْعَجَمِ وَالْهِنْدِ عَمَلًا مِنَ الْأُمَمِ، وَتَرْتَّبَ ذَلِكَ أَيْضًا ابْتِدَاءَ لَأَزْمَانٍ عَدَمِ الْقُدْرَةِ عَنِ مَقَاوِمَةِ كُلِّ مَنْ كَانَ يَهْجُمُ
 لِلْمَحَارِبِ كَانَتْ سَبَبًا فِي كَثْرَةِ أَمْوَالِهِمْ وَرَفَاهِيَّتِهِمْ، فَتَبَّ عَلَيْهَا فِيمَا بَعْدُ فُتُورَ هِمَّتِهِمْ فِي تَكُونِ السِّمَةِ ظَاهِرَةً عَنِ بَدَنِهِ تَلَوُّهُ وَتَذَلُّهُ بِي أَهْلِ
 وَطَنِهِ، أَوْ يَفِرُّ مِنَ الزَّحْفِ يُعَاقَبُ بِوَسْمٍ بِعِلَامَةِ الْعَيْبِ وَالْعَارِ وَالْإِفْتِضَاحِ، عَمَلٌ كُلِّ عِمَالَةٍ حَاكِمٍ — لَمْ تَزَلْ صُدِّ حُفَّ الْعُلُومِ الْيَتَرَسَّةُ
 بِمِ الْقَلَمِ الْقَدِيمِ الْبَائِي